مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ - إِسْلَامِيَّةٌ - ثَقَافِيَّةٌ - جَامِعَةٌ - مُحْكَمَةٌ

تَصْدُرُ سَنَوِيًّا عَنْ

كُلِّيَّةُ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

العددان التاسع والعشرون والثلاثون

لسنة 1436 - 1437 الهجرية الموافق: 2015 - 2016 الميلادية

أهمية المصادر التاريخية العربية بالقرون الوسطى في مجال دراسات اللغات الإثيوبية

أ. محمد سعيد عبد الله
جامعة أدريس أبابا - إثيوبيا

المقدّمة

الغرض من هذا البحث هو إظهار أهمية المصادر التاريخية العربية للقرون الوسطى، وبالتحديد للفترة ما بين القرن الرابع عشر والخامس عشر وما تشكّله هذه المصادر من بالغ الأهمية في مجال الدراسات الإثيوبية عامة، وما تميّزت به في تقديم دراسات رصينة لتاريخ شعوب الممالك الإسلامية الحبشية وثقافاتها الزاهرة وحضارتها المزدهرة خاصة.

إن الباحث لتاريخ هذه البلاد ومظاهر حضارتها في الفترة المذكورة، لا يجد سوى مجموعة من الكتب المترجمة في الكنيسة الإثيوبية -وهي مترجمة من اللُّغة العربية- وحوليات الأباطرة التي -بطبيعة الحال- تركّز على سيرة الأباطرة وحروبهم. أما إذا أراد الباحث معرفة التاريخ الحضاري والسياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي، فإنه يضطر إلى الرجوع إلى ما سجّله الرحالة وجغرافيو العرب.

بالرَّغْم مما للمصادر العربية بالفترة المذكورة أعلاه من أهمية في مجال الدراسات الإثيوبية، إلا أنها لم تحظَ باهتمام الباحثين الإثيوبيين من الاستفادة مما تقدّمه من المعلومات ذات الجوانب المتعدّدة والمتنوّعة عن تاريخ وثقافة

وحضارة بلادهم، الأمر الذي جعل الفراغ كبيراً في مجال دراسة التاريخ الحضاري والثقافي لها.

ومن هنا، تأتي أهمية المصادر التاريخية العربية للقرون الوسطى؛ ليس فقط لما فيها من المميّزات -وهي كثيرة - بل لأنها في المقام الأول تسدّ الثغرات الواضحة التي تعاني منها المكتبات الإثيوبية في هذا المجال. كما أن القيمة العلمية الكبرى لتلك المصادر تكمن في أنها تقدّم المعلومات التي تتكامل في إعطاء صورة تكاد تكون واضحة المعالم للتاريخ الحضاري والثقافي والسياسي والاقتصادي للممالك الإسلامية الحبشية. وهي صورة لم يكن تطرّق إليها -حسب علمي واطلاعي- باحث أو كاتب في رسم ملامحها بشكل رئيس قبل المصادر العربية.

كما أن هذه الدراسات -إلى حدٍّ ما- تكاد تكون أول دراسة تثير قضايا تتعلق بلُغة الكتابة لممالك «الطراز الإسلامي» في الحبشة في فترة الدراسة، وما يتفرّع عنها من مسائل ذات أهمية بالغة تتعلّق باللُّغات المحلية والقضايا الوطنية، التي كانت الدراسات الإثيوبية في حاجة ماسة إليها.

وهكذا تأتي أهمية هذه الدراسة في إلقاء الضوء على المصادر التاريخية المهمة التي أمكن الوقوف عليها للفترة المذكورة، واثقاً أن ذلك يسهّل للباحثين والمهتمين، ويفتح لهم آفاقا جديدة في مجال الدراسات الإثيوبية عامة، ودراسة اللُّغات المحلية خاصة.

أضواء على المصادر العربية لتاريخ الحبشة في فترة الدراسة:

أودّ أن أؤكّد قبل كلّ شيء أن هناك شُحّاً في المصادر المحلية عن تاريخ ممالك الطراز الإسلامي في الحبشة، سوى ما نجده في حوليات ملك الحبشة أطي عمدسيون (1314-1344م) عن تاريخ الصراع والحروب بين الملك وبين الممالك الإسلامية. أما ما يتعلّق بالتاريخ الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي وغيرها من الملامح الحضارية لهذه الممالك، فلا نجده إلا في

المصادر العربية التي لولاها لبقي تاريخ هذه الممالك الإسلامية مجهولاً، مما يجعل لهذه المصادر فضل السبق والشرف في الإبقاء والحفاظ على تاريخ الحبشة عامة، وممالك الطراز الإسلامي خاصة.

وفيما يلي ذكر لتلك المصادر: -

أولا: ابن فضل الله العمري (700-749هـ/ 1301-1349م)، هو أحمد ابن يحيى بن فضل الله القرشي، شهاب الدِّين، مؤرّخ حجّة في معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان، عارف بأخبار رجال عصره وتراجمهم، غزير المعرفة بالتاريخ، مولده ومنشأه ووفاته في دمشق، أجلّ آثاره «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار». قال ابن شاكر: كتاب حافل ما أعلم أن لأحد مثله، وكذلك كتابه «التعريف بمصطلح الشريف» وغيرها من المجلّدات الضخمة[1].

وقد استقى العمري معلوماته التاريخية من الوفد الحبشي الذي زار مصر -كما سيأتي ذكره-، ويعتبر كتابه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» من أوثق المصادر وأوفاها لتاريخ هذه الممالك، كما يُعَدّ أول من تحدّث عن الإمارات الإسلامية في الحبشة، وكتابه الآخر تناول فيه تاريخ هذه البلاد وهو «التعريف بالمصطلح الشريف».

وقد استقى مما كتبه العمري كلّ من جاء بعده من المؤرخين أمثال: القلقشندي والمقريزي وغيرهم، الأمر الذي جعله مصدراً رئيساً مهماً لتاريخ الممالك الإسلامية السبع في الحبشة في الفترة المذكورة.

ثانيا: القلقشندي (756-821هـ/ 1355-1418م)، هو أحمد بن علي ابن أحمد القلقشندي ثم القاهري[2]، الذي جاء بعد العمري بأكثر من نصف

(1) انظر: الزركلي، **الأعلام**، م1، ص268، الناشر دار العلم للملايين، ط15، التاريخ مايو 2002م.

(2) انظر: المرجع نفسه والمجلد نفسه، ص177.

قرن، والقلقشندي يُعدّ من أبرز الجغرافيين العرب الذين كتبوا عن الحبشة وشرق إفريقيا والبلدان المحيطة بالديار المصرية على العموم[1]. وقد أمدّنا بصورة جليّة واضحة للمجتمعات في شرق إفريقيا خاصة منطقة الطراز الإسلامي وعلاقتها مع ملوك الحبشة. وقد أخذ من العمري في كتابه المذكور الكثير في هذا المجال، ولذلك نجده في كثير من المواطن يُحيل القارئ إلى كتاب العمري. ويُعَدّ كتاب «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» من أفضل الكتب التي أُلّفت في بابه، وهو كتاب جامع لأصول وفنون الكتابة بكلّ أنواعها، لاسيما الكتابة النثرية، ولقد جمع القلقشندي في هذا الكتاب فضلاً عن فنّ الكتابة، الكثير من أخبار المدن واتجاهاتها والكثير من أخبار المؤلفين وحكاياتهم، وبالجملة فهو كتاب فريد في بابه. كما أن له مؤلفات تُعَدّ بالمجلّدات[2].

الثالث: المقريزي (839هـ/ 1435م)، هو أحمد بن علي تقي الدِّين المقريزي، مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك (في الجزء الشرقي من الجمهورية اللبنانية الحالية). وُلد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات عديدة، ومن تآليفه كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ويُعرف بخطط المقريزي «السلوك في معرفة دول الملوك»، «تاريخ الأقباط»، وغيرها من الكتب الكثيرة[3]. ويُعَدّ المقريزي من أهم من كتبوا عن الحبشة عامة، وممالك الطراز الإسلامي في الحبشة خاصة، كما يُعَدّ أول من أفرد كتيباً أو رسالة خاصة بالحبشة بعنوان «الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام»، وقد كتب رسالته أثناء مجاورته في مكة سنة 839هـ/ 1435-1436م. ويقول: «... تلقيتها بمكة -شرّفها الله تعالى-

(1) د. محمد كمال الدين، **دراسات نقدية في المصادر العربية**، ص773، الناشر عالم الكتب، ط1، التاريخ 1993م.

(2) محمد سعيد عبد الله، "دراسات عن المصادر العربية لتاريخ الحبشة"، (بحث غير منشور)، ق27.

(3) انظر: الزركلي، المرجع السابق، والمجلد نفسه، ص177-178.

أيام مجاورتي بها سنة 839هـ من العارفين بأخبارها»[1]. وقد رتّبها على مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة قصيرة جداً، اقتصر فيها على الصلاة والسلام على رسوله الكريم. ويلاحظ أنه استقى كذلك ممن سبقه من كلٍّ من العمري والقلقشندي، كما أن المقريزي له كتابه المسمى «درر العقود الفريدة في تراجم الأعمال المفيدة» أورد فيه معلومات تاريخية عن الحبشة. وقد كتب مسودة كتابه «الإلمام...» في مكة سنة 839هـ، وحرّره في مصر سنة 841هـ[2].

أضواء على مصادر الدراسة:

تميّز القرن الرابع عشر من تاريخ الحبشة ولا سيما عهد أطي عمدسيون ملك الحبشة (1314-1344ف) بأنه حفل بحروب طاحنة خاضها الملك ضد الممالك الإسلامية واليهودية والوثنية، وتم إخضاعها واحدة بعد الأُخرى حتى أصبح أول ملك من الأسرة السليمانية الذي استطاع أن يوحّد المناطق الوثنية واليهودية والنصرانية والإسلامية تحت سيادته[3].

ونتيجة للغارات المتتالية التي شنّها أطي عمدسيون ضد الممالك الإسلامية، فإن المسلمين أرسلوا وفداً برئاسة الفقيه عبد الله الزيلعي إلى سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون (838هـ/ 1337م) يطلبون منه التدخل لإيقاف حملات أطي عمدسيون ضدهم، وتذكر المصادر تزامن وصول هذا الوفد مع وجود وفد حبشي جاء سابقاً لطلب المطران، فاستغل الفقيه عبد الله الزيلعي هذه الفرصة، فسعى يلتمس من السلطان أن يستكتب البطريرك رسالة إلى أطي يطلب منه أن يكفّ أذيته عمّن في بلاده من المسلمين ومن أَخْذ

(1) المقريزي، كتاب **الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام**، ص2، طبع بمطبعة التأليف، مصر، سنة 1895م.

(2) محمد سعيد، المرجع السابق، ص27.

(3) د. لابسو، **بإثيوبيا رَجّيمْ يَحْزْبَنَا يا مَنْغْسْتْ** تاريك (التاريخ الطويل للشعب والحكومة الإثيوبية) بالأمهرية، ص103.

حريمهم، وصدرت المراسم السلطانية للبطريرك بكتابة ذلك، فكتب البطريرك كتاباً بليغاً شافياً فيه معنى الإنكار لهذه الأفعال، وأنه حرّم هذا على من يفعله بعبارات أجاد فيها، وفي هذا دلالة على الحال[1].

وكان هذا الوفد هو المنهل الذي استقى منه ابن فضل الله العمري معلوماته التاريخية عن ممالك الطراز الإسلامي في الحبشة، ويذكر العمري ذلك في مواطن عدة من كتابه بقوله: «وقد حكى لي الشيخ عبد الله الزيلعي وجماعة من فقهاء هذه البلاد...»[2].

ويعتبر كتاب العمري أول مصدر لتاريخ الحبشة عامة، وممالك الطراز الإسلامي خاصة باللُّغة العربية، وقد استقى مما كتبه العمري كلّ من جاء بعده من المؤرخين أمثال: القلقشندي والمقريزي وغيرهم، الأمر الذي جعله مصدراً رئيسياً مهماً كتب باللُّغة العربية لتاريخ الفترة المذكورة.

كما أن حوليات أطي عمدسيون تعتبر مصدراً مهماً لتاريخ البلاد في هذه الفترة، وتُعتبر حوليات عمدسيون أولى حوليات لأباطرة «السليمانيين»[3]، كما تمّ ترجمة كتاب «مجد الملوك»[4] في عهد هذا الملك، مما جعل عهده والقرن الذي يليه يزخران بالوثائق المكتوبة باللُّغة العربية المتعلقة بإثيوبيا.

(1) العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، الجزء الرابع، ص17، الناشر، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت جمهورية ألمانية الاتحادية.

(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(3) للوقوف على حقيقة الأسرة الحاكمة المعروفة بما يسمى «الأسرة السليمانية» يرجى الرجوع إلى رسالة الماجستير تحت عنوان «مسلمو إثيوبيا تحت حكم الأسرة السليمانية ما بين 1872-1913م»، كلية الدعوة الإسلامية، قسم الدراسات العليا، شعبة الدعوة والحضارة، طرابلس/ليبيا، 2001م.

(4) هو الكتاب الذي يعتبر أساساً لأسطورة ما يسمى بـ «الأسرة السليمانية» التي حكمت الحبشة ما بين 1270م-1974م، وخلاصة الأسطورة: أنّ الأسرة الحاكمة الشرعية تنحدر سلالتها مباشرة من سليمان بن داوود ملك بيت المقدس. لمزيد من التفاصيل ارجع إلى رسالة الماجستير سابقة الذكر.

لُغات الممالك الإسلامية في النصوص العربية:

أورد العمري في كتابه المذكور، وهو يتحدّث عن الممالك الإسلامية ما يلي:

«... لهم علوم وصناعات بهم خصيصة، ومع كونهم جنساً واحداً ينطقون بألسنة شتى تزيد على خمسين لساناً، وقلم قراءتهم واحد وهو الحبشي، يكتب من اليمين إلى الشمال، عدّته ستة عشر حرفاً، لكلّ حرف سبعة فروع، الجملة من ذلك مائة واثنان وثمانون حرفاً، خارجاً عن حروف أخر مستقلة بذاتها لا تفتقر إلى حرف من الحروف المعدودة المتقدّم ذكرها، مضبوطة بحركات نحوية متصلة به لا منفصلة منه»[1].

ويقول القلقشندي في حديثه عن مملكة الحبشة:

«...ولهم علوم وصناعات خاصة بهم ولهم قلم يكتبون به من اليمين إلى الشمال كما في العربي، عدة حروفه ستة عشر حرفاً لكلّ حرف منها سبعة فروع، فيكون عدّتها مائة واثنين وثمانين حرفاً، سوى حروف أُخرى مستقلة بذاتها لا تفتقر إلى حرف من الحروف المذكورة، مضبوطة بحركات نحوية متصلة بالخط لا منفصلة عنه. ومع كونهم جنساً واحداً، فلُغاتهم تزيد على خمسين لساناً...»[2].

ويقول المقريزي عن لُغات الممالك الإسلامية في الحبشة:

«... وألسنة ممالك الزيلع لُغات مختلفة تبلغ زيادة على خمسين لساناً، وكلهم يكتب بالقلم الحبشي، وكتابتهم من اليمين إلى الشمال، وعدة حروف هذا القلم ستة عشر حرفاً، لكلّ حرف سبعة فروع، جملة ذلك مائة واثنا عشر

(1) العمري، المصدر نفسه، ص25.

(2) **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، الجزء الخامس، ص302. الناشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. ويتضح في هذا النص مدى استفادة القلقشندي من العمري.

حرفا سوى حروف أُخرى مستقلة بذواتها لا تفتقر إلى حرف من الحروف المذكورة مضبوطة بحركات متصلة بالحرف لا منفصلة عنه»[1].

هذه هي النصوص الواردة في المصادر الثلاثة التي تناولت قضايا لغوية للممالك الإسلامية الحبشية، وهي بجملتها تشكّل مادة وثائقية من شأنها أن توسّع مجال البحث في حقل التاريخ اللُّغوي، كما أن هذه المصادر تشكّل مادة أساسية فيما أوردته من قضايا تاريخية واقتصادية واجتماعية وغيرها من الملامح الحضارية للحبشة عامة، والممالك الإسلامية خاصة.

ومما يسترعي الانتباه هنا، هو ما تتميّز به المصادر العربية عن المصادر التاريخية الأُخرى غير العربية التي تناولت تاريخ هذه البلاد، مركّزة في كثير من الأحيان على تاريخ الصراعات والحروب بين المجتمع الحبشي، غير أن المصادر العربية إضافة إلى ذلك، كشفت العلاقة الثقافية والقواسم المشتركة التي كانت سائدة بين الممالك الإسلامية وبقية المناطق الحبشية، وقد أظهرت تلك النصوص التي تمّ سردها حقائق علمية بالغة الأهمية، ما كان لممالك الطراز الإسلامي من روابط ثقافية مشتركة بينها وبين بقية الأقاليم الحبشية بشكل واضح وجليّ، بما يسمح لنا أن نستنتج أن تاريخ الوئام والانسجام بين الممالك الإسلامية وبقية المناطق الحبشية كان هو الأكثر في تلك العلاقة، في حين أن تاريخ الاضطرابات والصراعات والحروب كان استثناء. كلّ ذلك يتضح من خلال التواصل الحضاري والثقافي بين الطرفين، في إطار وجود خصوصيات لكلّ طرف في إطاره الداخلي كما تذكره المصادر العربية.

وإذا جاز للباحث أن يتناول بعض القضايا اللُّغوية التي تضمّنتها النصوص السابقة، يمكن إثارة الأسئلة الآتية: -

1 - ما يتعلّق بعدد لُغات الممالك السبع، هل يتطابق مع عدد اللُّغات المستخدمة في الأقاليم الجنوبية والجنوبية الشرقية للبلاد حالياً؟

(1) المقريزي، المصدر السابق، ص8.

2 - ما هو «القلم الحبشي» الذي ذكرته المصادر العربية، والذي يكتب من اليمين إلى الشمال مثل العربي؟

3 - وماذا عن عدد حروفه الأصلية (الستة عشر)؟ وسبعة حروف فرعية، وما ذكر في مجموع حروفه؟

4 - منذ متى بدأ استخدام هذه الحروف في مجال الكتابة في الممالك الإسلامية؟ ومتى توقّف استخدامها؟

وفيما يتعلّق بالنقطة الأولى، نجد أن عدد لُغات الجنوب والجنوب الشرقي لإثيوبيا حالياً يصل إلى ستين لُغة تقريباً، وهو ما يتقارب مع ما تذكره المصادر العربية.

أما بالنسبة للنقطة الثانية، فلا يعرف حتى الآن ماهية الحرف الذي وصفته المصادر العربية بـ «القلم الحبشي»، هل هو القلم السبئي المستخدم في إثيوبيا حالياً، أم أنه حرف آخر اندرس ولم يصل إلينا منه شيء؟ لو فرضنا أن هذه الحروف قد تكون الحروف السبئية المستخدمة لكتابة اللُّغة الجعزية والأمهرية حالياً، فنجد أن اتجاه كتابتها الذي كان يكتب من اليمين إلى اليسار، تمّ تحويله إلى الاتجاه العكسي أي من اليسار إلى اليمين في الفترة الأكسومية المبكرة. وفي ذلك يقول فرانسيس أنفري: «كانت أولى الحروف الأبجدية التي استعملت بإثيوبيا، والتي ترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد، كما أنها من أصل جنوبي عربي، وتختلف اللُّغة الأكسومية عن هذه اللُّغة الجنوبية العربية، وإن تكن مشتقة منها. وترجع النماذج الأولى للخط الإثيوبي الذي تصحّ تسميته بهذا الاسم إلى القرن الأول الميلادي. وتتألف الأبجدية من حروف ساكنة (جامدة). والحروف تشبه شكل اللُّغة العربية الجنوبية، لكنها أخذت تطوّر أشكالها الخاصة رويداً رويداً، وأصبحت اللُّغة تكتب من اليسار إلى اليمين بعد أن كانت تكتب في اتجاهات متغيّرة، . . . وقد اكتشف أقدمها في ''مطرا'' بإرتيريا، كما عثر على نقش مدون على جسم معدني يرجع إلى القرن الثالث، ويتحدّث عن الملك «قادرا»، وهو أول نقش باللُّغة الإثيوبية معروف لنا يرد فيه ذكر ''أكسوم''، كما أن نقوش الملك «عيزانا» ترجع إلى

القرن الرابع، وقد ظهرت فيها المقاطع الهجائية لأول مرة، والتي أصبحت بعد ذلك بقليل القاعدة المتبعة في الكتابة الإثيوبية، وأضيفت علامات حروف العلة (اللينة) تكملة للحروف الساكنة (الجامدة) لتعبّر عن نبرات الصوت المختلفة للُّغة المنطوقة[1].

ويذكر تكلي سادق مكوريا: أن الأكسوميين أخذوا من السبئيين الحروف التي كانت تكتب من اليمين إلى اليسار، أو بطريقة خط المحراث Boust Rophedon كما أطلقه عليها اليونانيون، حيث إن كتابة السطر من اليمين إلى اليسار ثم ابتداء الثاني من حيث انتهى الأول، أي من اليسار إلى اليمين وهكذا، إلا أن الأكسوميين غيّروا طريقة الكتابة السبئية وبدأوا يكتبون من اليسار إلى اليمين، متأثّرين باليونانيين الذين يكتبون من اليسار إلى اليمين[2].

ومن هنا، يتبيّن لنا أن طريقة الكتابة من اليمين إلى اليسار، تمّ تحويلها إلى الاتجاه العكسي في الفترة الأكسومية المبكرة. وإذا رجعنا إلى ما تورده المصادر العربية بهذا الصدد، نجده أن اتجاه الكتابة لـ «القلم الحبشي» الذي تستخدمه الممالك الإسلامية السبعة كان من اليمين إلى اليسار، فالمدّة بين الفترة الأكسومية التي تمّ فيها تحويل الكتابة من اليمين إلى اليسار إلى الاتجاه العكسي وبين الفترة الزمنية لكتاب العمري تزيد على ألف سنة تقريباً. ومن الصعوبة بمكان الإجابة على هذه الإشكالية في مثل هذه الدراسة المتواضعة، كما أن هدف هذه الدراسة هو الإثارة ولفت انتباه المتخصّصين في هذا المجال إلى قضايا تخصّ مجالاتهم العلمية التي تتناولها المصادر العربية للقرون الوسطى.

(1) **تاريخ إفريقيا العام**، المجلد الثاني، تحت عنوان «حضارة أكسوم من القرن الأول إلى القرن السابع» بقلم فرانسيس أنفري (وهو من فرنسا مختص في الآثار، كتب عدة مقالات عن البحوث الأثرية في إثيوبيا، رئيس البعثة الأثرية الفرنسية)، ص382.

(2) تكلي سادق مكوريا، **تاريخ إثيوبيا: نوبيا - أكسوم - زاغوي إلى الإمبراطور يكونو أملاك**، (باللُّغة الأمهرية)، ص234. تاريخ النشر شهر طر/ 1951 بالتقويم الإثيوبي الموافق يناير/ 1959م.

أما فيما يتعلّق بالنقطة الثالثة وهي عدد الحروف، فإن هناك نقطتين رئيسيتين:

الأولى/ ما أورده كلٌّ من العمري والقلقشندي، إذ إنهما يذكران عدد الحروف الأصلية بأنها كانت ستة عشر، ولكلّ حرف سبعة حروف فرعية، ثم يذكران بأن المجموع مائة واثنان وثمانون حرفاً.

الثانية/ وفيما أورده المقريزي، ليس هناك فرق في عدد الحروف الأصلية والفرعية، سوى في عدد المجموع، فإنه ذكر أن المجموع مائة واثنا عشر حرفاً. (وهو الصحيح من الناحية الحسابية).

وإذا رجعنا إلى المراجع المحلية التي تناولت هذا الموضوع، نجد أن الدكتور لابسو يذكر، أن الحروف الجعزية ربما يرجع عهدها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، إلا أن الوثائق المكتوبة وجدت لأول مرة في القرن الثالث الميلادي في إقليم تغراي في نقش لملك أكسوم المسمى «غدار»، وكانت الحروف ساكنة أي جامدة، دون أن يكون لها حروف علّة، كما كان عددها ستة وعشرين حرفاً. وقد تمكّن علماء أكسوم في عهد الملك «عيزانا» في القرن الرابع الميلادي من ابتكار حروف العلّة المعروفة بـ/كاعب، ثالث، رابع، خامس، سادس، سابع، وبذلك زادوا لكلّ حرف سبعة حروف علة فرعية، فأصبح المجموع مائة واثنين وثمانين حرفاً[1].

وبناء على ما تقدّم، فإن ما ذكره الدكتور لابسو في مجموع الحروف الجعزية يتطابق تماماً مع ما أورده كل من العمري والقلقشندي، الأمر الذي يسمح لنا بالتخمين، بأن عدد الحروف الأصلية الستة عشر التي ذكرها العمري والقلقشندي ربما وقع فيها التصحيف من الناسخ، حيث كتب ستة عشر بدلاً من ستة وعشرين.

وفيما يتعلّق بالحروف المستقلة غير الأصلية، فليس هناك إشكالية في

(1) د. لابسو، المرجع السابق، ص79-80.

ذلك، إذ إن ما تورده المصادر العربية يتطابق تماماً مع ما تذكره المراجع المحلية، وكلها يثبت أن هناك حروفاً مستقلة قائمة بذاتها غير الستة عشر أو الستة والعشرين الأصلية المذكورة في المصادر العربية والمحلية.

وفيما يتعلّق بالنقطة الأخيرة، فلا يمكن التخمين في ذلك، وعسى أن تتولى الأبحاث والحفريات الأثرية الإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها المتعلقة بالقضايا اللُّغوية.

الخاتمة:

- ومن خلال هذه الدراسة المتواضعة يتضح أنه ما زال تاريخ هذه البلاد وتاريخ الممالك الإسلامية القديمة بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة، وظهور معلومات أكيدة ووثائق جديدة، غير أن ما أفادتنا المصادر العربية به يدلّ دلالة واضحة على أن هذه الممالك قد شاركت بقسط وافر في إثراء وإنماء التراث الوطني العام آنذاك.
- وقد أظهرت المصادر العربية -كما رأينا - الروابط الثقافية التي شكلت قاسماً مشتركاً بين المملكة المسيحية وبين السلطنات الإسلامية، والتي لم تكن موضع التحقيق العلمي في كثير من الدراسات - حتى الدراسات المكتوبة باللُّغة العربية - التي تناولت ممالك الطراز الإسلامي مؤخراً، حيث ركّزت على الموضوعات المرتبطة بالصراعات السياسية والمواجهة الحربية، والتي كانت استثناء، في مقابل تاريخ الوئام والانسجام الذي ساد البلاد فترة طويلة.
- ويتضح كذلك أنه لو لم يكن ما سجّله الرحالة والمؤرخون العرب عن تاريخ ومظاهر حضارة هذه الممالك، لبقي مجد هذه الممالك وحضارتها المزدهرة وتاريخها العريق وسط ضباب من الخرافات والأساطير.
- ومن هنا، نشدّد -مرة أُخرى- إلى أن هناك الكثير لا يزال مما يتعيّن التحقق منه والكشف عنه في المصادر العربية التي -لا شك- أنها تشكّل

فيما تقدّمه من المعلومات النادرة إضافة مهمة إلى ما عرفناه حتى الآن عن التاريخ الثقافي والاجتماعي لهذه البلاد. ومن ثَمّ، فإننا في أمس الحاجة للرجوع إلى المصادر العربية المعوّل عليها لتاريخ إثيوبيا وإعادة النظر والبحث فيها، وذلك للإفادة مما تقدّمه في مجال الدراسات الإثيوبية.

- كما أن الوفادة السياسية كانت منهلاً للمعلومات التاريخية، وقد رأينا ذلك كيف استفاد العمري مادته عن الحبشة من الوفد الحبشي الذي زار مصر في أيامه. كما اتضح أن الروابط الدِّينية والثقافية التي تجمع بين المسلمين مثل مناسبة الحج، كانت من أعظم الفرص التي يستغلها المؤرخون لتسجيل الأحداث وتواريخ البلدان، فكان المقريزي ممن استفادوا من هذه الرحلات، حيث كتب مسودة كتابه الشهير وهو في الحج.

وختاماً، فكلّ رجائي أن تؤدي هذه الدراسة - التي أردت بها أن تكون دعوة لقيام أبحاث جادة تنفض بعض الغبار عن وجه المصادر العربية التي تناولت تاريخ هذه البلاد، وتكشف الكثير مما خفي أو أُخفي عن قصد أو غير قصد، من خلال ترجمتها إلى اللُّغات المحلية والعكوف على دراستها.

وهكذا يتبيّن أهمية المصادر التاريخية العربية للقرون الوسطى؛ ليس فقط لما فيها من المميّزات -وهي كثيرة- بل لأنها في المقام الأول تسدّ الثغرات الواضحة التي تعاني منها المكتبات الإثيوبية في هذا المجال. غير أن القيمة العلمية الكبرى لتلك المصادر تكمن في أنها تقدّم المعلومات التي تتكامل في إعطاء صورة تكاد تكون واضحة المعالم في تبيان التصوّر الشامل للتاريخ الحضاري والثقافي والسياسي والاقتصادي للممالك الإسلامية الحبشية. وهي صورة لم يكن تطرّق إليها -حسب علمي واطلاعي- باحث أو كاتب في رسم ملامحها بشكل رئيس قبل المصادر العربية.

كما أن هذه الدراسات -إلى حدٍّ ما- تكاد تكون أولى دراسة تثير قضايا

تتعلق بلُغة الكتابة لممالك «الطراز الإسلامي» في الحبشة في فترة الدراسة وما يتفرّع عنها من مسائل ذات أهمية بالغة في مجال دراسات اللُّغات المحلية وقضايا وطنية، كانت الدراسات الإثيوبية في حاجة ماسة إليها. ولذلك أوردت المصادر التاريخية المهمة التي أمكن الوقوف عليها للفترة المذكورة، واثقاً أن ذلك يسهّل للباحثين والمهتمين في مجال الدراسات اللُّغوية المحلية مهمة البحث في الموضوع.